Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدّعوة يتمّ التّعبير عنها بصفة قد تختلف من حكايةٍ إلى حكاية : «حَدِّثني عن»، «أخْبِرْنِي»، «اضْرِب لِي مَثَلاً»... إذّاك يشرع بَيْدَبَا في عرض بعض الحِكَم التي تكتسي بالضرورة صبغة العمومية، ويختم خطابه الحِكَمِي بجملة تشويقية من نوع : «ومن أمثال ذلك السّنّور والجُرَذ اللّذان اصطلحا لمّا وقعا في وَرْطَةٍ شديدة».[1] فيسأل دَبْشَلِيم : «وكيف كان ذلك ؟». هذا السّؤال ينبئ عن رغبته في الإصغاء وفي معرفة ما جرى للحيوانين اللّذين وقعا في ورطة وكيف عقدا الصّلح رغم العداوة التي بينهما. وبمجرّد أن تظهر الرّغبة في السّرد تبدأ الحكاية : «زعموا أنّه كان بمكان كذا وكذا...».

السّرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصّيغ تكون بالنّسبة إلى الحكاية كالإطار بالنّسبة إلى اللّوحة.[2] وهكذا فإنّ عبارة «زعموا أنّ» تعلن للمتلقّي أن السّرد قد بدأ وتُحدد نوعه. قل الشيء نفسه عن عبارة «بلغني أنّ» التي تفتتح بها شهرزاد حكاياتها، وعبارة «كان ياما كان» التي نجدها في مطلع بعض القصص الشّعبية، وعبارة «حدّثنا عيسى بن هشام قال» الواردة على رأسِ كل مقامة من مقامات الهمذاني.

يمكن أن نستخلص من هذه الأمثلة أن السّرد الكلاسيكي والشّعبي يحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرّر بصفة ملحوظة. وإنّ شيئاً من التّفكير يجعلنا نعتقد بأنّ السّرد القديم يحترم كذلك خاتمة معينة تؤكّد نهاية الحكاية وتثبت أهمّية الإطار. فعلى سبيل المثال تنتهي حكاية السّنّور والجُرَذ بهذه الجملة : «فهذا بابٌ مُبْصِر فرصتِه في مُصالحة عدُوّه والأخذِ بالاحتراسِ مِنْه».[3]

1) ابن المقفع، ص. 214. الجُرَذ، ح. جِرذان : ذكر الفأر.

2) أوسبنسكي، ص. 130 وما بعدها.

3) ابن المقفع، ص. 219. في بعض مناطق المغرب، تقول الجدّة عندما تنتهي من سرد حكاية . «شْسَالَتْ خْرَافْتِي يَاجَارْتِي». أما حكايات ألف ليلة، فإنّها تنتهي عادة بالعبارة المعروفة : «... إلى أن أتاهم هازم اللّذات ومفرّق الجماعات». هل نجد في السّرد الحديث إطاراً لازماً أو متكرّراً، أي صياغات تنبئ عن بداية السّرد ونهايته ؟ الجواب الذي يتبادر إلى الذهن هو : لا، لا توجد بدايات ونهايات قسرية في السّرد الحديث. ومع ذلك ما أكثر الرّوايات والأفلام التي تبتدئ، أو تنتهي، بمشهد فرس ينطلق أو سفينة تقلع أو سيارة تبتعد أو طائرة تحلّق !